# مقابلة بين العماد اليعقوبي القديم

# والعماد الماروني الحديث (مخطوط بكركي سنة ١٥٢١)

بقلم الخوري فرنسيس اليسري

خادم رعية البترون

---

من المعلوم حقاً ان المسيح لم يكن البادئ في استعمال المياه للتطهير. فمن تصفح تاريخ الديانات أخذه الذهول لوجود مثل هذا الاستعمال في الأسرار الوثنية. وهذا ما يتكلم عنه المؤرخ يوسيفوس عند الشعب اليهودي وهذا ما دلّت عليه مخطوطات قمران. ولقد ذهب اليهود بعيداً الى حدّ المغالاة فاستحقوا تأنيب السيد المسيح. ولكن، وان يكن هناك أوجه شبه خارجية بين العماد المسيحي والاستخدام اليهودي والوثني للمياه: فإن المعاني الروحية التي حمّلها المسيح للماء تتعدّى الشكليات وبالشيء الكثير. فالآية التي وردت في (يوحنا ٣/٥) «ان لم يولد أحد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله»، تبرهن عن ذلك، وتبيّن جلياً على ان المسيح لم يتقبل بالمياه عنصراً ينقي من الدنس فقط بل ارادها ايضاً «حشاً جديداً يلد البنين الروحانيين»[1]. والآية عينها كانت ينبوعاً للمسيحية منها تستقي لتكوّن عمادها لاهوتاً وطقساً. وبالفعل من قارن بين الطقوس ظهرت له أوجه الشبه في الخطوط العريضة التي تكوّن الطقس مع ما هناك من فروقات مختصة بكل طقس، ومن زيادات طرأت مع الأيام. وسواء كان ذلك بين طقسين أحدهما شرقي والآخر غربي أو بين طقسين يرجعان الى اصل واحد كطقس «العماد اليعقوبي القديم» «والماروني الحديث» اللذين نحن بصددها في هذا الدرس.

---

١) الطقس الماروني: صلوات مزج الميرون في المياه.

لقد اختلف المؤرخون حول استقلال ليترجيتنا. فمنهم من قال ان الليترجية المارونية مستقلة منذ نشأتها عن ليترجيات بقية الطوائف المسيحية حتى السريانية والنسطورية مع ما بيننا وبينهما من صلة رحم. ومنهم من كان يظن ان للموارنة واليعاقبة طقساً واحداً. وكتباً واحدة[١]. ومن بين المؤرخين الذين قالوا بالقول الثاني رنودو الفرنسي[٢].

والأصح على ما يرجح ان النفوذ اليعقوبي لم يعمل عمله في ليترجيتنا وظهور بعض اسماء من أئمتهم في كتبنا عائد الى جهل نساخنا. ولقد قال المثلث الرحمات المطران بطرس ديب في كتابه الليترجية المارونية على ان الموارنة كانوا يستعملون دون تمييز هذه الرتب المختلفة[٣]. والسبب في ذلك يعود الى ان طقوسنا المارونية والطقوس اليعقوبية تعود في اصلها الى ارومة واحدة وتستقي من ينبوع واحد وتشد بين الاثنين قرابة رحم.

وما سيتبين لنا بعد المقارنة بين مخطوط عماد يعقوبي يرجع إلى اوائل القرن السادس عشر ١٥٢١ وبين طقس العماد الماروني الحالي كاف لاظهار هذا التقارب في الخطوط العريضة المقدَّمة لطقس العماد: وما الى هنالك من فروقات عائدة لكليهما والمميزة لها. لهذا سنقابل النصين بالنسبة لترتيبها المادي: ثم بالنسبة للزيادات الطقسية أو نقصانها: واخيراً بالنسبة للافكار والعقيدة اللاهوتية.

ان المخطوط ناقص من اوله ولكن مما تبقى نفهم ان القسم الناقص هو رتبة دخول المرأة الى الكنيسة بعد أربعين يوماً من زمن وضعها. وهذه الرتبة التبصيرة موجودة ايضاً في بدء حفلة رتبة العماد عند الموارنة[٤].

ومما يؤسف له ان الورقة الأولى من المخطوط مهترأة تماماً. وما سلم من العث والحبر: اذ المخطوط كله فريسة لهذين العدوين للمخطوطات: يبين لنا ان الكاهن يقول صلاة على رأس المرأة ويدخلها الى البيعة وذلك بعد لحن هو قصة تقدمة يسوع للهيكل، وكيفية حمله على يد سمعان الشيخ. واما غاية الصلاة فهي عين الغاية الموجودة في طقسنا الماروني اي

---

١) المشرق ٣٣ (٤-٥).
٢) رنودو ج ٢ ص ١-٢٩.
٣) بطرس ديب: الليترجية المارونية (ك ٤٦-٤٧).
٤) المخطوط هو رتب عماد واكليل.

التنقية والتطهير من كل دنس الجسد والروح. وأخيراً ينتهي الطقس بباعوث للتقديس أفرام يتغنى فيه القديس بطفولة المسيح[١].

امّا طقس العماد فيبدأ بهذه المقدمة[٢] : «بعون الله سيد الكل والقادر على كلّ شيء نبدأ بكتابة طقس العماد المقدس الذي سلّمه ربنا يسوع المسيح لتلاميذه وبواسطتهم الى ابينا مارساويرا بطريرك انطاكية ... وقد نقله من اليونانية الى السريانية الاسقف مار يعقوب اسقف الرها. ولقد صحّحه العلامة القديس مار غريغوريوس ابن العبري» فمن هذه المقدمة يتبين لنا ان هذا الطقس هو يعقوبي.

## التشمشتّ الأول

ان لرتبة العماد، اي رتبة كانت، اعمال اساسية ركزت عليها. وكأن الرتبة الواحدة انقسمت الى قسمين، كما في كلّ رتبة، قسم استعدادي وقسم يعطى فيه سرّ العماد المقدس وامّا الأعمال الاستعدادية فهي: تحرّي نيّة الطالب، أدعية الاقسام، الكفر بالشيطان ثم الاعتراف بالايمان. وامّا الاعمال التي يقوم بها العماد فهي: تبريك الماء ومنح العماد.

وان مطالعة علمية دقيقة للمخطوط اليعقوبي القديم، والطقس الماروني الحديث تبين لنا ان الاعمال الاستعدادية التي ذكرنا والأعمال الأساسية لرتبة العماد موجودة في هذين الطقسين.

فلكلّ من هذين الطقسين رتبة اولى استعدادية. وهذه الرتبة الاستعدادية مرتبة ترتيب صلاة القرض المبنية بدورها على ترتيب ما قبل الذبيحة. فهذه الرتبة، التي كان يحضرها المؤمنون والتائبون والموعوظون تشتمل على اناشيد، وطلبات، وقراآت، وصلاة الحسّاي التي يرافقها وضع البخور.

ومن تتبع ترتيب كل من التشمشت الأول للمخطوط اليعقوبي والقرض السابق للمعمودية في العماد الماروني الحالي وجد انهما يتألفان من الأجزاء التالية:

---

١) تقرأ في نهاية القسم الأول ما يلي: كل طقس دخول المرأة الى الكنيسة بعد أربعين يوماً.

٢) تبدأ الرتبة بنصائح لخادمي السر، يقول الناسخ انها من اقوال ماري ساويروس.

يبدأ الطقسان «بالمجدلة» التي هي تمجيد الثالوث الأقدس . وبها تبدأ جميع الصلوات الجمهورية وخاصة الأسرار . ثم «الفاتحة» وقوامها صلاة يقولها المحتفل اذ يلتمس من الله أن يؤهله بنعمة خاصة كي يحسن القيام بالرتبة .

في الرتبة اليعقوبية يقول الكاهن : «اهلنا ايها الرب الاله لكي بنقاوة وقداسة نتقدم نحو اسرارك المقدسة ...»

وفي الرتبة المارونية يقول : «اهلنا ايها الرب الاله ان تتم بواسطتنا نحن الخطأة خدمة العماد المقدس الروحانية ...»

وبعد الفاتحة يبدأ بمزمور يتغير باختلاف ساعات الفرض . وهنا في رتبة العماد ينشد الكاهن والشماس معاً مزمور «ارحمني يا الله» . ففي رتبة العماد اليعقوبي ينشد المزمور مع صلوات تلحن . وتدور هذه الصلوات حول قصة عماد يسوع كما وردت في الانجيل .

ثم يتبع صلاة تشبه الفاتحة يلتمس فيها المحتفل البركات على الطالب حتى يكون حملاً صالحاً في رعية المسيح : ثم صلوات على شبه مزامير متقطعة يوجد بينها الهلال الذي نقوله في رتبتنا المارونية وهو : «صوت الرب على المياه . اله المجد أرعد . الرب على المياه الغزيرة .» ذلك كما ذكرنا . بينما يكتفى بمزمور «ارحمني» وحده في الطقس الماروني : اما لأن المزمور يوافق بمعناه المطالع الملحنة التي توضع عادة في القسم الاستعدادي للعماد وهي التوبة : واما لأن المطالع الملحنة تجعل الرتبة طويلة .

وفي الطقسين تأتي صلاة الغفران في محلها ، وهي الصلاة التي يرافقها عادة وضع البخور . انما هناك فرق في معنى كل من هاتين الصلاتين . ففي المخطوط اليعقوبي تقسم الحساي الى قسمين : في القسم الأول يخاطب المصلي يسوع على انه النور ومصدره ، ويذكره على انه صنع آدم الترابي نوراً أظلم بالخطيئة . وفي القسم الثاني يقول له : «انك انرته في نهر الأردن ثم يسأله ان يكون المؤمنون اهلاً ليستنيروا بعموديته اذ انه النور الحقيقي الذي ينير كل انسان» .

امّا النص الماروني فيذكر ان المسيح علّمنا التنقية بنفسه على مياه الاردن» ، هذا في المقدمة . امّا في الفروميون فعندنا قسمان : قسم يسرد لنا قصة التجسد الالهي ومعها العماد . وقسم يلتمس فيه المؤلف نعمة سر العماد للطالب .

ويتبع الحساي «الفتح». وفي الطقس اليعقوبي يناشد المصلي نهر الاردن ليتنقّى لأن المسيح آتٍ ليتعمّد فيه. وفي الطقس الماروني يخاطب الله بتقاديس ثلاثة ويطلب منه الصفح عن الخطايا. ثم صلاة العطر وهي عند الاثنين طلبة يطلب فيها الأهلية والنعمة لطالب العماد.

وقبل ان نصل الى الرسالة يوجد مزمور عند الاثنين بل قل مقدمة للقراآت وهذا المزمور يقتصر على ثلاث قطع عند الموارنة كما في جميع المقدمات التي تسبق القراآت عندهم بينما هي صغيرة جداً عند اليعاقبة انما تسمّى مزموراً وهي: سمعت بولس الرسول الصالح ...

ويبدأ بقراءة هذه الرسالة بعد هذا المزمور وقد أخذت عند اليعاقبة من رسالة بولس الى الرومانيين حيث يتكلم عن التحرر من عبودية الخطيئة: فيقول: «لأننا اذا كنّا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير ايضاً بشبه قيامته»[١].

واما الموارنة فلقد استلّوها من رسالة بولس الى تيطس وفيها يتكلم «عن الميلاد الثاني والتجديد بالروح»[٢].

ومن ثمّ يقرأ فصل من انجيل يوحنا وهو ذاته عند الاثنين ويدور على الحوار بين يسوع ونيقوديموس[٣].

وهنا نصل الى نوع من الغموض اذ اننا لا نجد ذات الترتيب.

ففي المخطوط اليعقوبي تأتي صلاة بعد قراءة الانجيل يتلوها الكاهن على نفسه وهي شبيهة بصلاة الفاتحة. ثم تتبعها صلاة يرافقها وضع البخور وتقال على الطالب مع الابتهال ان يكتب اسمه في كتاب الحياة: «انت يا رب اكتب اسمه في كتابك الحي»[٤].

ثم يختم المعمود بالصليب ثلاثاً بينما يمسك الشماس الطفل بيديه الاثنتين. ثم يعرّى من ثيابه والحلى ووجهه الى الشرق والكاهن يصلّي سرّاً وهو بذات الاتجاه. وبعدها يلتفت الى الغرب ويقسّم على المعمود الذي يلتفت الى الغرب ويكفر بالشيطان ويد العرّاب بيده الشمال.

---

١) روم: ٦/١-١١.
٢) تيطس: ٣/٤-٧.
٣) يوحنا: ٣/١-١٦.
٤) هنا يسجل اسم المعمد واسم اشبينه (كذا).

واخيراً يلتفت المعمود الى الشرق ويد العرّاب بيده اليمنى ويعلن ايمانه بالمسيح والكاهن متجه نحو الغرب . ثم يلتفت الكاهن الى الشرق ويقول صلاة على الطفل ترد فيها الأقسام على الشيطان مما يجعلها شبيهة بطقسنا الماروني الحديث اذ ان بعض هذه الاقسام هي عينها في الطقسين ولكنها اكثر عدداً في الطقس اليعقوبي .

وبعد الختام بصلاة شكر يتجهون نحو جرن المعمودية وهم يتلون قانون الايمان .

اما الترتيب المقابل المتّبع في الطقس الماروني فهو هكذا : يبدأ بكرازة يتلوها الشماس بصوت عالٍ : وبها يذكّر الرب على انه برسمه سر العماد : بتقديسه مياهه ، وبوعده من يعتمد بالحياة يحسن به ان يستجيب طلبتنا . ثم يتبع نشيد يدور حول العماد . ويشبّه المعمودية ببنت الملك . وبعد هذا يتلو الكاهن صلاة على رأس الطفل طالباً فيها له الأهلية لقبول سر العماد. وهذه الأهلية تقوم بطرد الشيطان المستولي بالخطيئة وهنا تبدأ أدعية الأقسام .

وكما في الطقس اليعقوبي هكذا هنا ايضاً يكفر العرّاب، اذا كان الطالب طفلاً، بالشيطان ووجه طالب العماد الى الغرب . ويؤمن بالله ووجه الطفل الى الشرق . ويظهر ان هذه الحركة قديمة جداً في الطقس ولها رمز وهو أن جهة الشرق ، وهي جهة النور، ترمز الى المسيح واما جهة الغرب فهي جهة الظلمة وترمز الى الشيطان . وبعد ان يتلى قانون الايمان ، يختم هذا القسم بصلاة شكر .

| الطقس اليعقوبي | الطقس الماروني |
|---|---|
| ١) الكفر بالشيطان . | ١) الكفر بالشيطان |
| ٢) الايمان بالمسيح . | ٢) الايمان بالمسيح |

وهكذا ينتهي التشمشت الأول وفي ختامه نقرأ ما يلي: «كَمُلَ التشمشت الأول الذي للموعوظين كترتيب ماري يعقوب الرهاوي صلاته معنا» . وهنا ترد ملاحظة حول نوعية الماء كأن يكون ساخناً في الشتاء، وبارداً في الصيف «وان كان بارداً وان كان سخناً ما عليه شيء لا يشبه الدم والماء الذي جرى من جنب سيدنا كما يفسروا الأرمن (كذا)» .

التشمشت الثاني

وبعد الانتهاء من قانون الايمان يبدأ الكاهن بالتشمشت الثاني ويقوم على تكريس الماء.

وككل رتبة تبدأ بالمجدلة ثم بصلاة على المياه فيها يطلب الكاهن ان يحل الروح القدس في الماء فيصبح «حشاءً روحانياً». ثم يغطي الكاهن الماء بمنديل ابيض. ويضع الصليب بين شمعتين مضاءتين ويقول صلاة سرية يطلب فيها ان ينزل الروح القدس على طالب العماد «فيكون نصبة في البيعة المقدسة الكاثوليكية تعطي ثماراً شهية».

ثم يسم الكاهن الطالب بثلاثة صلبان وهو يمسح عينيه باسم الثالوث الأقدس.

وهنا تبدأ فعلاً رتبة تكريس الماء وذلك بصلاة الغفران التي يدور موضوعها حول الأقانيم الثلاثة وفعل كل واحد منها ؛ مع الطلبة اليهم ان يتقبلوا البخور الذي يقدم ؛ فيطلب الكاهن من الآب ان يرسل روحه فيملأ الطالب بالنعمة.

وكما في كل رتبة يتبع الحساي صلاة الفتح وهي تدور هنا حول مياه المعمودية وكيفية تقديسها من يسوع المسيح. وتجدر الاشارة على ان الفتح يؤلف من عدة قطع بدل قطعة واحدة في الطقس الماروني.

وبعد الفتح توجد صلاة العطر وفيها يطلب الكاهن ان يؤهل الطفل للمعمودية المقدسة وهي النية التي لأجلها قدم البخور.

وهنا تبدأ سلسلة صلوات على الماء وفي كلها يطلب الكاهن حلول الروح القدس في المياه حتى تصير حشاء يلد بنين روحانيين ، ويسحق بها رأس التنين. وبعد هذا ينفخ الكاهن على المياه كي يقدسها ؛ ثم يتبعها بدعوة جديدة للروح القدس فتصبح قادرة على ان تجعل المتعمد «يخلع عنه الانسان العتيق ويلبس الانسان الجديد الذي تجدد على مثال الذي براه».

وبعد أن يسم الكاهن المياه بالصليب بصلوات ثلاث على اسم الثالوث الأقدس ، «جدة المياه التي ترمز الى موت الابن الوحيد وقيامته» «يأخذ قرن الميرون المقدس ويلقي على الماء الذي بالجرن ثلاث دفعات برسم الصليب». ويختم هذا القسم برقرقة على الماء ويعلن ان المياه تقدست

باسم الآب حياة الأحياء : وباسم الابن حياة الأحياء مثله . وباسم الروح القدس الحي القدوس للحياة الى أبد الأبدين[1] . ويجب الملاحظة على ان هذه الصلاة الأخيرة هي عينها تقريباً الموجودة في الطقس الماروني يقولها الكاهن عندما يمزج الميرون المقدس في المياه .

نافور تكريس ماء المعمودية

ويقابل التشمشت الثاني في الفرض الماروني نافور تكريس ماء المعمودية .

فكما ان الكاهن اليعقوبي يطلب ان يحلّ الروح القدس في المياه هكذا يكرس الكاهن الماروني الماء كي يصبح له قابلية تطهير النفس وذلك بواسطة حلول الروح القدس .

وفي رتبة تكريس الماء هذه اكثر من كرازة لأن الكاهن يتلو صلوات سرية عديدة . وهذه الكرازات المتعددة يتلوها الشماس عادة حتى يعاون الشعبَ على الصلاة كلّما انصرف الكاهن للقيام بعملٍ خفي أو لتلاوة صلاة سرية .

ويبدأ هذا النافور ككل نافور بالبركة الافتتاحية . « ليكن أمان الله ... » وكما في نافور القداس هكذا هنا : فبعد البركة الافتتاحية يبدأ ذكر حياة المسيح الخلاصية التي لا تقديس الآ بها .

وكما في نافور القداس هكذا يهيئ هنا الكاهن الشعب للوقت المهم وهو ابتداء الصلوات السرية التي بها يصير التقديس : « الى الأعالي العلوية ... لترتفع قلوبنا » . « اليك عيون قلوبنا مرتفعة ... »

وبعد أن يسم الكاهن ماء المعمودية ثلاث مرات يصلي سرّاً بينما يكرز الشماس . وينتهي هذا القسم بالقول على مياه المعمودية المقدسة ثلاث مرات : « قدوس : قدوس ، قدوس ... »

وهنا نصل الى صلاة التكريس وتتكوّن من صلاتين سريتين : فبينما يتوسل الكاهن في الأولى ويذكر عماد المسيح الذي قدّس عمادنا بعماده ، يتوسل الشماس الى المسيح لينزع عنّا الانسان العتيق ويلبسنا الانسان الجديد ، انه يطلب في الثانية من الروح القدس ان يحلّ في المياه فتصير احشاء « تلد بنين سماويين غير قابلين الفساد » . ويطرد منه كل قوة العدو ويباركه ويقدسه » .

---

١) الطقس اليعقوبي ص ٧٧ .

ثم يصير المزج على اسم الثالوث الأقدس. فبالمزج بالروح القدس «تطهر المعمودية وتتقدس بوارف نعمة الملك السماوي». وكما في طقوسنا وخاصة في «نافور القداس» ينتهي «نافور تكريس المياه» بالصلاة الربية ومقدمتها.

العماد

بعد كل المقدمات التي سبقت نصل الى القسم الجوهري من رتبة العماد.

ففي الطقسين يبدأ الكاهن بالمسح بالزيت:

في الطقس اليعقوبي يدهن الكاهن «جسم المتعمّد كله ولا ينسى أن يمسح بين أصابع يديه، ورجليه، وفخذيه من الأمام ومن الوراء». ويتقدّم المسح ويتبعه الحان في معنى العماد.

وفي الطقس الماروني يمسح الكاهن جبهة المعمّد فقط. وفي هذا القسم الجوهري نصل الى النقطة المهمّة وهي العماد فعلاً: ويقوم في الطقس اليعقوبي بالتغطيس مع ذكر الصورة التالية:

«يعمد فلان للقداسة، وللخلاص، وللسلوك القويم، وللقيامة المباركة من بين الأموات باسم الأب والابن والروح القدس».

وعلى ما يظهر من الروبريكة: ان الرتبة تبدأ بالصب، وتكمل بالتغطيس ويرافق التغطيس صلاة للنزول في الجرن، وصلاة للصعود منه.

واما في الماروني الحديث فيتقدم العماد بالصب مع ذكر الصورة بشخص المتكلم «أنا اعمدك...»[1]

وبعد العماد يدخل المعمود الى المذبح حيث يكلّل باكليل على رأسه ويربط بزنار في وسطه وذلك في الطقس اليعقوبي.

واما في الطقس الماروني فيوشّح بوشاح ابيض رمز النفس الجديدة النقية التي خرجت بيضاء من جرن المعمودية. ثم يعود الى المذبح باحتفال فتنشد الأناشيد وتقرع الأجراس، وتفوح رائحة البخور: كل ذلك للدلالة على ان الكنيسة فرحة وقد استقبلت مولوداً جديداً.

فبعد هذه المقابلة الطويلة للنصين بالنسبة للترتيب المادي يتبين لنا ما يأتي:

---

١) لقد أثبت كتاب الأسرار صيغتين قديمة وحديثة والقديمة هي كصيغة الطقس اليعقوبي القديمة.

| الطقس اليعقوبي | الطقس الماروني |
| --- | --- |
| – في بدء ما قبل العماد : مزمور مع البخور الأول. | – لا وجود لذلك . |
| – في التشمشت الأول : صلاة ثانية وبخور ثانٍ. | – لا وجود للاخذان . |
| – الرسالة : | |
| – الى الرومانيين . | – الى تيطس . |
| – الانجيل : | |
| ما لك يا يم هربت : ويا اردن ترجعت . | – صوت الرب على المياه . اله المجد أرعد . الرب على المياه الغزيرة . |
| – صلاة وضع البخور مع وضعه فعلاً . | – ايضاً في الطقس الماروني . |
| – مسح بالزيت بين العينين . | – فروميون : فتح : عطر . |
| – دهن الجسم كله بالزيت . | – دهن الرأس فقط . |
| – عماد بالتغطيس . | – عماد بالصب على الرأس . |
| – الصورة : | |
| – يعمد فلان ... (صيغة لازمة) . | – أنا اعمدك ... ( صيغة متعدية ) . |
| – في الصورة زيادات (يعمد فلان للقداسة والخلاص والسكون المستقيم ...) | – لا وجود للزيادات . |
| – يعصب رأس المعمد بمنديل يحل بعد سبعة ايام. | – لا وجود لهذا |

يستنتج ممّا سبق ان الطقسين شبيهان ببعضهما البعض بما يخص الخطوط الكبرى التي تؤلف كليهما وان يكن هناك فروقات غير ذات اهميـة .

مقابلة بالنسبة للافكار والعقيدة اللاهوتية

لا يمكننا البتة ان نلقى درساً لاهوتياً عقائدياً في اي كتاب طقسي . فالطقسيات تستقي عادة من اللاهوت العقائدي ولكنها في غالب الأحيان تدل على ما تعتقده كنيسة خاصة في موضوع من المواضيع وبالتالي تدعم العقيدة وتثبتها وخاصة اذا كانت قديمة العهد .

ومن رجع الى المخطوط اليعقوبي الذي نقابله مع الطقس الماروني الحديث لا يجد درساً لاهوتياً في المعنى الشامل لكلمة درس . كما انه لا يمكننا أن نتخذ نصاً واحداً يكون لنا بمثابة مرجع نعود اليه او أطار يصلح لتحديد موضوعنا . ولكن المتفحص لهذين العملين الطقسين يستخلص منهما

نقاطاً ترد كلها في درس العقيدة اللاهوتية للعماد . ولربما اذا حاولنـــا ، توصلنا الى ترتيبها ترتيباً يتماشى وترتيب مفاعيل العماد فكان لنا موضوع لاهوتي عقائدي في العماد وهذا ما سنحاول تنظيمه مقابلين بين النقاط التي ترد في الطقسين ، دالين الى الفوارق اذا وجدت ، رادين كلّ نقطة الى مصدرها في العهد الجديد والآباء اذا أمكن .

ان أوّل ما يبدو لنا من هذين الطقسين في المعمودية انها معمودية غافرة . فالانسان ، مولود الخطيئة ، تعتقه المعمودية من عبوديتها ، اذ ان المسيح بعماده نقّى المعمودية وجعلها قادرة ان تغسل المعمدين بها وتنقّيهم من ادران الخطيئة[١] .

وهذه الفاعلية للمياه تأتيها من آلام المسيح الابن الوحيد . وفي هذا يقول الكاهن «انك ايها الرب الاله تعطي القوة لهذه المياه بواسطة آلام ابنك الوحيد فتنقّى آنئذ من الخطيئة .» وفاعليتها ترجع ايضاً في اساسها الى عمل المسيح الفدائي على الصليب وقيامته من بين الأموات . ألا يطلب الكاهن في الطقس اليعقوبي ان تكون مياه المعمودية رمزاً لموت وقيامة الابن الوحيد[٢] .

والطقس اليعقوبي يشدّد على ان فاعلية التنقية هذه انما هي فاعلية تنقية من دنس الجسد والروح ، وفاعلية حلّ للمأسورين[٣] .

وفاعلية المياه هذه لمغفرة الخطايا توجد بذات المعنى في الطقس الماروني الحالي . فيما يخبر الكاهن عن عماد المسيح يقول : «انه علّمنا التنقية بنفسه على مياه الاردن ... لأجل تنقيتنا من خطايانا[٤] » . وأجمل ما يدل على هذه الفاعلية هي الصلاة التي يقولها الكاهن وهو يبارك المياه اذ يطلب من الروح القدس ان يحلّ في الماء «ليطرد منه كل قوة العدو ... ويباركه ويقدسه ويجعله مثل الماء الذي جرى من جنب الابن الوحيد فيتنقّى ويتطهّر من اعتمد به» . ثم يصرخ بعدها : «فيصعدون من هذه المياه وقد تطهروا وتقدسوا»[٥] .

١) ص ١١–١٢ من المخطوط اليعقوبي [illegible] وص ٦٣ /س ٣
٢) المخطوط اليعقوبي ص ٦٥ و ٧٢ .
٣) المخطوط اليعقوبي ص ٧٢ و ٧٣ .
٤) الطقس الماروني صلاة الغفران : السدر .
٥) الطقس الماروني نافور تكريس المياه .

وبعد أن يقبل المعمَّد سر العماد يوصيه الكاهن ان يحفظ هذه النقاوة نقاوة نفسه فيستحق «أن يدعو الآب أبانا وضميره وجسده منقيان من الدنس ونفسه مقدسة»[١].

وما نلحظه هو ان هذه المياه تغدو غافرة بقوة الروح القدس. في الطقس اليعقوبي المعمد هو مولود الروح القدس[٢]. وفي الطقس الماروني نذهب الى أبعد فالروح القدس يمزج في المياه. ففي نافور تكريس المياه يطلب الكاهن «أن يحل الروح القدس ويغفر اثمنا بحرارة حلوله». ويتبعه بهذه الصلاة: «ليأت، يا رب، الروح وليحل في هذا الماء». وبعده صلاة ثالثة «ايضاً وايضاً لأجل المعمودية التي مزجت بالروح القدس: وتطهـَّرت وتقدَّست بوارف نعمة الملك السماوي»[٣].

وعلى هذا يمتلئ المعمَّد من موانح الروح القدس الالهية[٤] وتتزين نفسه بمواهب هذا الروح وهكذا يصبح مسكناً للروح القدس وللمسيح اذ تغدو اعضاؤه هياكل نقية ومقدسة[٥].

ولا نستغرب البتة اذا وردت هذه الأفكار اللاهوتية في هذه الطقوس. فنكتفي للدلالة على ذلك بذكر أهم الآباء الشرقيين الذين وردت عندهم هذه الأفكار. فبالنسبة لهؤلاء ان العماد يرمز الى موت المسيح وقيامته من بين الأموات حسب ما ورد في بولس للرومانيين[٦].

ولقد ذكر النزيانزي الرمز الى القيامة في اكثر من محل في مؤلفاته: ومنها قوله: «اننا نرمز الى موت المسيح وقيامته عندما نعمد ثلاثاً بالتغطيس»[٧].

وبالنسبة الى هؤلاء الآباء ان فاعلية المياه تأتي من الروح القدس[٨]. وبنوع أخص انه بالنسبة للقديس افرام «عماد بالنار والروح القدس: وان هذا ليظهر جلياً في اناشيده نخص منها النشيد المختص بعيد الغطاس[٩].

---

١) الطقس الماروني صلاة تقال قبل الزياح.

٢) الطقس اليعقوبي ص ٨٣.

٣) نافور تكريس المياه نحو الأخير.

٤) الطقس اليعقوبي ص ٤٤.

٥) الطقس الماروني الكرازة في نافور تكريس المياه.

٦) باسيليوس الكبير (P.G. 32, 132 AB) غريغوريوس النزيانزي (P.G. 36, 369 B) يوحنا فم الذهب (P.G. 60, 480). تيودورس الميسوطي (مواعظه).

٧) غريغوريوس النزيانزي (P.G. 45, 89 D).

٨) النزيانزي (P.G. 45, 84 D).

٩) لامي: اناشيد ومواعظ القديس افرام الكتاب الأول (Malines 1882).

ميلاد جديد .

وطبعاً ان الذي يخرج من مياه المعمودية هذه يخرج انساناً جديداً .
لقد رأينا ان المعمودية تقدّس بحلول الروح القدس وهكذا تصبح حشاءً روحياً : تتكوّن فيه الحياة الجديدة بانزال الطالب في المياه ، وتظهر هذه الحياة إلى الوجود عندما يصعد من هذه المياه « ويصعدون من هذه المياه وقد تقدسوا وتطهروا ... »

وبحلول الروح القدس تغدو هذه المياه كوراً ينزل المعمّد في ناره انساناً يعلوه صدأ الخطيئة فيخرج وقد تطهّر وتجدّد بهذه النار اذ ان يسوع « يعمّد بالنار والروح القدس »[١] .

والفكرة عينها ترد وتتبسط في الطقس الماروني . منذ البداية ، من القروميون ، تبدو المعمودية كوراً سليماً روحانياً « تجدّد بناره صورة آدم التي شاخت وبليت بفساد الخطيئة » وبها دعانا المسيح « لنكون بنين روحانيين » اذ انها المولد الثاني[٢] .

وبهذا ينادي الخادم اذ يكرز قائلاً : « ايها المسيح الهنا ، يا من اتى وجعل المعمودية اماً تلد البنين الروحانيين للحياة الأبدية »[٣] . فكأني بمياه المعمودية أرضاً يطهّرها الثالوث الأقدس : وينقّيها ويقدّسها ثم عندما تصبح ذات أهلية لقبول الزرع ، يلقى فيها زرعاً الهياً في حشى جديد : يلد البنين الروحانيين »[٤] .

فالقديس يوحنا فم الذهب يدعو المعمّدين في مواعظه حتى يتأملوا كم هي عظيمة محبة ذلك الذي دعانا الى حياة جديدة « تأملوا يا اخوتي : محبّة من دعانا ، وما يدعونا اليه من سعادة : وما منحنا من مجد ، ولنعش حياةً جديرةً بهذه المواهب» . ويطلب اليهم ايضاً ان يحافظوا على هذه الحياة بالجدّ الدائم وراء الملكوت الأبدي وذلك بألاّ نعلّق قلبنا بهذه

---

١) الطقس اليعقوبي ص ٥٣/٤ .
٢) الطقس الماروني قروميون .
٣) الطقس الماروني صلوات للموعوظين : كرازة .
٤) الطقس الماروني قانون تكريس المياه : مزج الميرون في المياه .

الحياة . بل يطلب ان يحيا المعمَّد في هذه الدنيا كما يحيون في السماء وذلك بأن يصلب ذاته للعالم . ويطلب العالم له : « لنجتهدنّ في ان نحافظ على المولد الجديد الذي تقبلناه بعمادنا»[١] .

ويقول القديس باسيليوس على ان غاية المسيح من تجسده وموته وقيامته لم يكن الاّ « ليعيد الأنس والصفاء» بينه وبين الانسان بمعنى « ان الانسان وقد خلص ، بمكنه ، باقتدائه بالمسيح : ان يعود ابناً لله . وكما الذهبي كذلك يدعونا باسيليوس الى التخلص من الحياة القديمة الماضية وما يتبع ذلك من ذل وموت وفي هذا يقول : « معنى ذلك ان نقطع ما بيننا وبين حياتنا الماضية : فنولد ميلاداً جديداً بحسب قول الرب لنيقوديموس ؛ لأنّ التجديد يعني بدء حياة جديدة . فيلزم لابتداء حياة جديدة ان يوضع حدّ للحياة القديمة ... لأن الكلام هنا عن حياة ؛ وعن موت يدلّ على نهاية الحياة السابقة وبداية الحياة الجديدة »[٢] .

## لباس جديد

وهكذا نرى على ان العماد يجعل منّا ابناء الله . ومن كان ابناً لله لا يحسن ان يلبس لباساً يستحي منه ابوه السماوي ويخجل من رؤيته . فمن دعي الى العرس يجدر به ان يلبس ما يليق بالعرس وبالمدعوين . ومن كان ابناً شاطراً ورجع الى نفسه ، وارتدّ عن خطيئته يُلْبَس ثوباً ملوكياً ويوضع في يده خاتم الملك .

لهذا بالمعمودية ينزع المعمَّد عنه الانسان العتيق ويلبس لباساً جديداً شبيهاً بالذي خلقه ، لباساً لا يفسد[٣] ، ويأتي عدم الفساد من أن المعمَّد يلبس ربّنا[٤] .

ويختصر الطقس الماروني بهذه الصلاة « لنتضرع الى ذلك الزوفى المبيض ليخلع منّا الانسان العتيق البالي والفاسد ، ويلبسنا الانسان الجديد

---

١) مواعظ يوحنا فم الذهب : الموعظة ١٢ على انجيل متى .
٢) مقالة في الروح القدس رقم ١٥ .
٣) الطقس اليعقوبي ص ٧٣ .
٤) الطقس اليعقوبي ص ٨٢ .

الذي يتجدّد ، ويتفاضل ، ويتقدّس بمعمودية الغفران»[١] وبصلاة الختام عندما يقول «ولا تسمح يا رب عند تعريه من ثوب جسده هذا المنظور ان يتعرى منك انت المسيح الثوب الخفي الغير المنظور . ولكن كن له ايها الرب الاله ثوباً غير منظور ، وغير فاسد»[٢] .

## وسم محيي

وبما ان المعمّد يظل مائتاً طالما انه لم يحمل اسم المسيح وجب ان يوسم بوسم يعرف منه انه ابن للمسيح المخلص وهذا الوسم يعطى بالمعمودية . وكأني به ختم يصدّق الايمان الذي اكتسبه المؤمن . وانه وسم محيي .

وهاتان الفكرتان فكرة الوسم ، والوسم المحيي تردان في الطقسين. فالعماد في الطقس اليعقوبي يعطي وسماً للحياة الأبدية وهو ختم المسيح الهادي الحافظ[٣] . وبالنسبة للطقس الماروني هو وسم الروح القدس المحيي[٤] . وهكذا يلتقي الطقسان في هذه الأفكار مع الآباء الذين وردت عندهم وخاصة اولئك الذين عاشوا في القرن الثاني للمسيحية أمثال : Pasteur d'Hermas وغيره حيث كانت الفكرة شائعة آنذاك .

## خاتمة

بعد هذه المقابلة السريعة في هذه الصفحات المعدودة يمكننا القول ان العماد بما فيه من محو للخطيئة ، ومنح للحياة الجديدة يعود الى مركز جامع هو عمل الروح القدس ، هذا الروح الذي اذا مزج في الماء جعل الانسان يخرج من الماء انساناً جديداً. هو الروح القدس الذي يعيد للانسان الحياة التي فقد . كما انه يمكننا القول ان مؤلفي الطقسين قد تأثرا الى حدّ برسول الامم اذ ان في الأثرين تلميحات الى موت وقيامة المؤمن بالمسيح في العماد . نعم ليس في هذه المقابلة كما سبق وقلنا موضوع مكتمل للاهوت

١) الطقس الماروني صلاة الختام .
٢) بدء تكريس مياه المعمودية في الطقس الماروني .
٣) الطقس اليعقوبي ص ٢٣ .
٤) الطقس الماروني فروميون .

العماد ولكن اذا ما جمعنا الأفكار المنتثرة هنا وهناك في كلٍّ من الطقسين يمكننا ان نتوصل فنجد كل العناصر التي تؤلف لاهوت العماد . والشيء الطريف في هذه المقابلة ألا يكمن في الشبه الشديد بين هذين الطقسين شبه مادي . وشبه في المعنى : شبه في الترتيب المادي : وشبه في الأفكار اللاهوتية : الشيء الذي يحمل على التساؤل هل هناك طقس واحد ذو وجهان ؟ أم طقسان لها ذات المصادر ؟ أليس للطقسين اليعقوبي والماروني ارومة واحدة . وأصل واحد : وصلة رحم واحدة ؟